مجلّـة الواحـات للبحـوث والدراسـات
ردمـد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دور المثقف في بناء و ممارسة الفعل الجمعوي المثقف و جمعية محمد عزوز بوادي سوف نموذجا

قرليفـة حميـد
جامعـة غردايـة
البريد الالكتروني : monciegaloul@yahoo.fr

ملخص –

يعتبر هذا المقال حلقة من سلسلة المقالات العلمية التي تناولت موضوع المجتمع المدني بصفة عامة و المجتمع المدني السوفي على وجه الخصوص و الذي حاولنا من خلاله ابراز دور و أهمية المثقف السوفي في بناء و تفعيل الفعل الجمعوي، كما لا يفوتنا أن نتناول مميزات المجتمع المدني، و ابراز أهم التي مر بها أو يمر بها أي مجتمع مدني.

و كدراسة حالة تناولنا المجتمع المحلي وادي سوف كنموذج و الذي يعتبر فيه المثقف الركيزة الاساسية في تشكيل الفعل الجمعوي، و يسعى الى يومنا هذا من خلال نشاطاته (المثقف السوفي) المتكررة الحفاظ على البناء الجمعوي في جميع الانساق الاجتماعية الأخرى.

و أخيرا لا يمكن لأي مجتمع مدني أن يستمر و يدوم دون الحفاظ على أعظائه العضويين و أهم المثقفون و هذا لاحظناه في المجتمع السوفي.

Abstract-

This paragrgraph is one of the most scientific expressions it is deal with the subject of civil society in general and souffi society in specific.

It is trying to show the important of the souffi cultivate to express the association subjective, we can't forget to study important of civil society and show as the steps that dealing with each civil society.

We are studying the local society as an example wad souffe.

تمهيد-

عندما نزلت بوادي سوف أول مرة في نهاية عام 2014م و بداية عام 2015م، للمشاركة في الندوة الفكرية السادسة عشر (16) للشيخ العدواني لاحظت نشاطات مختلفة للفعل الجمعوي مع مختلف مؤسسات المجتمع الأخرى، تمس مختلف البنى الاجتماعية للمجتمع المحلي (وادي سوف)، حاولت أن أعطي قراءة موضوعية للظاهرة فكونت مجموعة من الأسئلة الأولية من أجل معرفة أسباب هذه النشاطات، لكن أغلب الأجوبة كانت تدور في محور الفراغ أو سوسيولوجيا الترفيه بالمصطلح العلمي [1].

بعد تفسير مجموع الملاحظات و الأجوبة المجموعة و قراءتها قراءة علمية، توصلت الى أن الممارسة و الفعل الجمعوي، نابع من وعي اجتماعي كّونه مثقفو المجتمع المحلي وادي سوف، فهو وعي مكوّن من المعرفة و الإدراك و التنبيه و الفهم للذّات و العالم الخارجي و الانتماء الاجتماعي و الذي نتج عن التأمل للعالم الموضوعي و العمل والفعل الاجتماعي بكل أوجهه ويؤدي إلى اتخاذ فردية وجماعية عملية أي أنه مرتبط بالسلوك، و لا ننكر أهمية

1- **يقدم لنا دي مازدييه** (J. Dumazdier) **في مؤلفه سوسيولوجيا الترفيه أربعة أنواع من التعريفات الممكنة للترفيه فيحددها على أساس نوعية الأنشطة التي تتضمنها وهذه الأنشطة هي: العمل, الالتزامات العائلية, والالتزامات الاجتماعية السياسية, والأنشطة التي تخرج عن نطاق هذه الأنظمة ولكنها تتجه نحو الاشباع الشخصي، للأطلاع أكثر أنظر:**

Joffre Dumazdier: Sociologie de loisir-critique et contre critique de la civilisation du loisir édition du seuil, Paris, 1974.

الدور الذي تؤديه الجمعيات في المجتمع المعاصر باعتبارها قوة مؤثرة في بناء المجتمعات وتنميتها وتعزيز التفاهم بينها.

ان النسيج الجمعوي [2] بوادي سوف يمس مختلف البنى و النظم الاجتماعية، فهناك ممارسة فعلية منذ عقود من الزمن تحاول التأسيس لمجتمع معاصر هو مجتمع المؤسسات، و هو مجتمع تساهم في بنائه مختلف مؤسسات المجتمع، و يلعب فيه المثقف السوفي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة دورا هاما، من خلال الأفكار التفسيرية و المنظمة بصفة عامة, والتي تستعمل لوصف و تفسير و تبرير وضعية المجتمع، كما يقدم (المثقف السوفي) من خلال القيم التي يحملها عملية توجيه محدد للفعل التاريخي للمجتمع.

ان المثقف السوفي فاعل اجتماعي و من خلال فعله الاجتماعي يشكل وسيلة ثقافية تحدد وتشكل و توسع العناصر الأخرى (الفاعلين في مختلف الجمعيات) التي تسعي لتوجه أو تسير المجتمع نحو مسار معين لتحقيق الغاية المسطرة, وهذا النظام الفكري الذي يحمله المثقف يشكل الوعي لفئة اجتماعية أي يمكن لها أن تشكل نوع من القناة التي توجه المجتمع من خلال توضيح و تفسير الواقع الاجتماعي و القوى و الجماعات الأساسية له.

كما لاحظنا أن للمثقف في المجتمع السوفي وظيفتين أساسين، **فالوظيفة الأولى** تظهر و تعبر بطريقة معينة مصالح و أمال و تطلعات المجتمع المحلي بكامله ثم أنها تضعه في طريقه المنطقي و الصحيح أما **الوظيفة الثانية** فباعتباره المحرك الأساسي لكل التصرفات فيه يحدد السبب و الباعث و يصور نوعية السلوك الذي يجب أن يمارس تجاه البناء العام للمجتمع المحلي.

و من بين أهم الملاحظات المسجلة كذلك، هي أن هناك علاقات بين الجمعيات ومؤسسات الدولة تتسم بنوع من الأبوية، التي تسعى إلى إضفاء طابع سلمي يقبل بالإصلاح الداخلي (المحلي) في جميع البنى الاجتماعية،

2- قدمت هذا المصطلح للدلالة على كثرة مؤسسات المجتمع المدني بإطاريها الرسمي و غير الرسمي، ونشاطها الفعلي المنتظم و المنسق بين مختلف جمعيات وادي سوف.

وهو ما جعل أغلب الجمعيات تتخندق ضمن الرؤية المؤسساتية الاجتماعية الاحتوائية للمطالب والاستراتيجيات، وهذه العلاقة هي ذاتها التي ميّزت العلاقة بين مؤسسات المجتمع و مختلف جمعيات وادي سوف و خاصة جمعية الشهيد عمر عزوز.

و حسب المقابلات التي أجريت مع مختلف الناشطين و خاصة المثقفين في جمعية الشهيد عمر عزوز ، سجلنا أنه هناك خبرة في المجتمع المحلي في ميدان العمل الجمعوي، سمح بتكوين رصيد نضالي وتاريخي مهما، حيث عرف المجتمع المحلي (وادي سوف) صعودا معتبرا للفاعلين غير الحكوميين في قلب الحياة الجمعوية خلال الثمانينيات وبشكل أوضح في التسعينات من القرن الماضي، حيث أبان هؤلاء الفاعلون و خاصة المثقفون منهم عن قدرتهم في الإسهام بكيفية ملموسة، وفعالة في المجهود التنموي، وفي تنوع النقاش العمومي بالمجتمع السوفي.

الجمعيات في وادي سوف من الحركة الجمعوية الى الديموغرافيا الجمعوية و أخيرا النسيج الجمعوي:

الحركة الجمعوية شكل من أشكال الحركات الاجتماعية الجديدة التي أصبحت ميزة للعمل الاجتماعي والثقافي...في المجتمعات الحديثة تستهدف إحداث التغيير المرغوب لصالح فئاتها الاجتماعية أو حقوق الإنسان، و الحركات الاجتماعية الجديدة هي نمط من الفعاليات الاجتماعية مختلفة عن الأحزاب السياسية و النقابات، وتعبر عن مجموعات وفئات اجتماعية تجاهلتها في السابق الحركات ذات الطبيعة السياسية والطبقية، ولا تهدف هذه الحركات إلى الاستيلاء على السلطة وإنما إحداث تغييرات على مستوى القواعد الشعبية وفق تكتيكات قصيرة المدى [3].

3- يسري مصطفى، و اخرون: الحركات الاجتماعية، المفهوم والواقع - المجتمع المدني وسياسات الإفقار في العالم العربي، مركز البحوث العربية وميربيت، القاهرة، ط1، 2002، ص13.

بينما يعتبر العالم الاجتماعي المعاصر الفرنسي رونيه غاليسو أن الانتقال من دراسة الحركات الاجتماعية إلى البحث في الحركات الجمعوية أصبح سمة العصر، وذلك نظرا لأزمة الحركات الاجتماعية (الكلاسيكية) التي كانت تركز على المطالب الاقتصادية والمهنية والمادية فحسب بواسطة النقابات، أما اليوم فقد ظهرت تنظيمات اجتماعية مستقلة جديدة تتميز بالأفعال الاجتماعية خارج الفضاء الاقتصادي والإنتاجي [4].

و هناك أوجه اختلاف عديدة بين الحركات الاجتماعية والحركة الجمعوية أو المنظمات غير الحكومية على اعتبار أن المفهوم الأول يشير إلى تلك القوى الاجتماعية التي تدفعها أزماتها لبلورة وعيها بالتعبير عنه في شكل انتفاضات احتجاجية أو حركات مطلبية منظمة كالنقابات أو الاتحادات المهنية، أما المنظمات والجمعيات فهي تلك الجماعات الطوعية التي تعمل على تعبئة أوسع عضوية ممكنة حول هدف يتطلب التمكين لتحقيقه وتتخذ شكل جمعيات أو روابط [5].

إن مصطلح الحركة الجمعوية الذي عادة ما يستخدم بكثرة في المجتمع الجزائري كغيره من مجتمعات المغرب العربي، مستمد من مفهوم الجمعية نفسه، وتدل لفظة الحركة على الجهود والمساعي الحثيثة والديناميكية المتواصلة لأعضاء الجمعيات والمتطوعين من أجل تغيير وتحسين أوضاعهم الحياتية بواسطة التعبئة الشاملة والمشاركة الواسعة والاختيارية في برامجها وأنشطتها دون انتظار تدخل الدولة وهذا ما سعت اليه مختلف الجمعيات بوادي سوف، حيث سعت الى ممارسة أشكال من الضغط السلمي عليها لتوفير الإمكانيات البشرية والمادية لحماية مصالحها ومصالح المجتمع ككل، وينبغي للحكم على حيوية وقوة الحركة الجمعوية بوادي سوف

4- رونيه غاليسو: الحركات الجمعوية والحركة الاجتماعية، علاقة الدولة بالمجتمع في تاريخ المغرب العربي مجلة إنسانيات وهران ، ماي /أوت 1999 ، العدد 08 ، ص 7.

5- أماني قنديل وسارة بن نفيسة: الجمعيات الأهلية في مصر، مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة،1994، ص15.

تفاعل أنشطة الجمعيات وتنسيقها في إطار حيز من التنافس والحرية لتحقيق أهدافها المشتركة، فالحكم على الحركة الجمعوية لا يكون بناء على عدد الجمعيات وإنما على نوعيتها واستجابتها لمطالب المجتمع.

والحركة الجمعوية بوادي سوف في منظور دراستنا هذه تتمثل في أنها شكل وجد منذ الثمانينات من القرن الماضي من أشكال الحركات الاجتماعية التي تعبر عن أهدافها بواسطة الجهود السلمية المنظمة والدائمة للجمعيات المحلية أو الوطنية التي تستهدف حث المواطنين على المشاركة في تحقيق التنمية، فتحدث ديناميكية في المجتمع كمؤشر لوعيه وحيويته.

و بكثرة الجمعيات و تنوع نشاطها انتقل المفهوم من الحركة الجمعوية الى ديموغرافيا الجمعيات [6] عرفت الديموغرافيا الجمعوية في وادي سوف تزايدا كبيرا منذ بداية التسعينيات على غرار المجتمعات المحلية الأخرى، وتنوعا على مستوى مجالات اهتمامها، وان كان الغالب عليها هو الاهتمام بالتنمية بكافة أنواعها، والميل إلى تبني الغايات والأهداف التي تحظى أكثر بالتمويل، كما شهدت هذه الديموغرافيا في وادي سوف تغيرا على مستوى توزيعها الجغرافي، حيث لم تعد متمركزة في المدن الكبرى (على غرار جمعية الشهيد عمرعزوز الموجودة بقرية الزقم)، و ان كان ما يزال اللاتكافؤ في التوزيع بين المدن الكبرى والقرى، وبين المدينة والقرية هو الغالب .

6- استعرنا مفهوم الديموغرافيا الجمعوية démographie associative من الباحث لويس ديرن، وعلى غرار الديموغرافيا، كعلم يدرس السكان، انطلاقا من متغير العدد والمدة، وكعلم يتناول بنية السكان ستاتيكيا وديناميا، من خلال البحث في توزعهم حسب السن ، الجنس، الحالة العائلية، النشاط المهني، قياس خصوبتهم ، معدلات وفاتهم وولادتهم، وكذا التنبؤ ، إلى حد ما، بآفاق تطورهم المستقبلي، يقصد بالديموغرافيا الجمعوية، دراسة الجمعيات ستاتيكيا وديناميكيا من خلال رصد تزايد عدد الجمعيات عبر الزمن ، من خلال تتبع حركية تأسيس الجمعيات و اختفائها، ودراسة توزع الجمعيات جغرافيا بين الجهات، وبين المدينة والقرية، وتوزعهم بين مجالات الاهتمام.

ولعل من أسباب نجاح الحركة الجمعوية في المناطق القروية الأكثر حرمانا في وادي سوف، نجد الروح المدنية للنخبة المحلية المهاجرة في المدن الأخرى داخل المجتمع الجزائري (هناك أمثلة كثيرة في وادي سوف كالأستاذ مسعود كواتي، و الاستاذ إبراهيم مياسي رحمة الله عليه و غيرهم) أو حتى في بلدان المهجر، والتي تعود إلى قراها الأصلية، لتقدم تجربتها للساكنة، وتساهم بالتالي في تطوير العمل الجمعوي بمنطقة وادي سوف، وعلى العموم فالتغيرات التي طالت الديموغرافيا الجمعوية في وادي سوف ليست مسألة اعتباطية، بل هي مؤشرات مهمة على ما حدث في المجتمع، وهكذا فالحيوية الكبيرة التي ميزت الحقل الجمعوي في المجتمع الجزائري، في العقدين الأخيرين، والتزايد الكبير والمضطرد لعدد الجمعيات، هما تعبير عن توسع مجال المشاركة الاجتماعية، إذ أصبح إنشاء الجمعيات يعبر عن تعقد المجتمع وتغيره، و يستهدف تجاوز الاختلالات التي يطرحها هذا التعقد وهذا التغير بالنسبة للمواطنين، أو بعبارة أوضح، يمثل تأسيس الجمعيات ضرورة اجتماعية، تطمح إلى ملء الفراغ الذي تركته تدخلات الفاعلين العموميين أو نتيجة لمحدودية تلك التدخلات، أمام الطلب المتزايد و الأزمة المتصاعدة، بفعل اعتماد سياسة معينة، وتراجع المؤسسات التقليدية عن أداء أدوارها، وعدم قدرة الدولة على التكفل بحل جميع المشاكل الاجتماعية التي تميز مجتمعا في تحول كامل.

وفي هذا الإطار تشكل الجمعيات، أحد البدائل الايجابية الممكنة لمآل التغير الاجتماعي بالمجتمع الجزائري، في ظل استشراء واقع الإقصاء، الهشاشة والفقر، وفي غياب هذا البديل الايجابي، سيكون المجتمع في مواجهة اختيارات أو ملاجئ أخيرة، لها نتائج سلبية، ليس على الفرد فقط، وإنما على المجتمع في بنيته العامة، لعل من أبرزها الهجرة السرية، التطرف الديني، التهريب، المتاجرة في المخدرات، والعنف الحضري...الخ.

هناك جهة رسمية واحدة هي على اطلاع، من الناحية المبدئية، على ديموغرافيا الجمعيات – كتبيئة [7] – هي وزارة الداخلية، على اعتبار أن كل جمعية مطالبة بتقديم تصريح إلى مقر السلطة الإدارية المحلية الكائن به مقر الجمعية، والذي يتضمن كل المعطيات الخاصة بالجمعية (اسمها وأهدافها، لائحة تتضمن كل المعلومات الخاصة بأعضاء المكتب المسير، صور من بطائقهم الوطنية ونسخ من سجلاتهم العدلية الخ) ، إضافة إلى القوانين الأساسية للجمعية.

و من هنا تظهر الديموغرافيا الجمعوية بوادي سوف، و محاولة فهم و تفسير و دراسة الجمعيات الموجودة في وادي سوف ستاتيكيا وديناميكيا من خلال رصد تزايد عدد الجمعيات عبر الزمن، من خلال تتبع حركية تأسيس الجمعيات و اختفائها، ودراسة توزع الجمعيات جغرافيا بين الجهات، وبين المدينة والقرية، وتوزعهم بين مجالات الاهتمام.

و لصعوبة الولوج إلى المعطيات الإحصائية الخاصة بالجمعيات في وادي سوف، مما يحول دون رسم صورة واضحة عن الديموغرافيا الجمعوية بمجتمع الدراسة، ففي فرنسا على سبيل المثال، يجري إحصاء منتظم لعدد الجمعيات، وقانون الجمعيات، يسهل نسبيا ذلك، بحكم أنه ينص على ضرورة التصريح بالتأسيس الرسمي للجمعيات التي ترغب في الاستفادة من التمويل العمومي، في الجريدة الرسمية، وإن كان من الصعوبة معرفة عدد الجمعيات غير المصرح بها ، وعدد الجمعيات الحية (associations vivantes) (الجمعيات التي تنشط بصفة فعلية) ،لأنه لا يوجد أي إلزام قانوني يفرض التصريح ب"وفاة الجمعية" وتوقفها عن العمل، مثلما هو الشأن بالنسبة لتأسيسها.

من هنا وجب علينا توظيف المصطلح الأوضح و الأسلم انطلاقا من ملاحظتنا للمجتمع المحلي بوادي سوف، و ان كان في الواقع هذا المصطلح

7- التبيئة: تعني نقل مفهوم من سياقه التاريخي الذي ولد فيه إلى سياق آخر مع البحث في إيجاد ما يوافقه في البيئة المستوردة.

يتعايش معه أفراد المجتمع بصفة الية، وهو النسيج الجمعوي أو الشبكة الجمعوية أين تتعاون جميع الجمعيات مهما اختلفت نشاطاتها و ايديولوجيتها، ويصبح لها دور سد الفجوة التي تركها انسحاب الدولة من القيام بوظائفها السابقة في ظل سياسات الإصلاح الاقتصادي والتكييف الهيكلي، والهدف الأساسي من الأعمال و الأنشطة التي يقوم بها النسيج الجمعوي بوادي سوف هو تكامل وتماسك وحدات المجتمع، ومن هنا تنبع أهمية النسيج الجمعوي، فهذا النسيج هو من يتولى قيادة تفاعلات المجتمع المدني نحو الارتقاء بالحياة الاجتماعية للمواطنين نحو الأفضل، والقيام ببعض الوظائف التي تخلت عنها الدولة مما عرض المجتمع لبعض التناقضات.

إن للنسيج الجمعوي أهمية كبيرة في المحافظة على استقرار المجتمع المحلي وتماسكه من خلال حل مشاكل الناس وأداء بعض الخدمات التي تعجز الدولة عن أدائها، وفتح قنوات الاتصال والمشاركة بين المواطنين والحكومة.

و الأهمية البالغة للنسيج الجمعوي بوادي سوف هو تسجل حضوره (منذ 1985) منذ مرحلة التحول والانتقال من نظام اقتصادي وسياسي إلى آخر، واثر ذلك على المجتمع وتماسكه بسبب الآثار السلبية التي يتركها، ويكون لتدخل النسيج الجمعوي السوفي بفضل سرعته ومعرفته الأفضل بالواقع المحلي نتائج جد حسنة في التقليل من تلك الآثار.

المثقف السوفي و العمل الجمعوي: يحمل مثقفو سوف سمة خاصة تميزهم عن باقي المثقفين في المجتمعات المحلية الأخرى، فهم فاعلين اجتماعيين يساهمون في نشر الأفكار و قيم انتمائهم الفكري و الإيديولوجي. و المثقف السوفي الذي نتناوله في هذا المقال هو ذلك المثقف الذي يحمل في شخصه مجموعة من السمات و مجموع تلك السمات بدورها تحدد المدى الثقافي للمثقف السوفي، و من خلال مجموع الشخصيات المثقفة التي تحمل مدى ثقافي مشترك تتشكل لنا الخصوصية الثقافية للمثقف السوفي بالمفهوم الوظيفي لراد كليف براون، كما أن المثقف السوفي محل الدراسة هو ذلك

الفرد الذي يتميز بشخصية اجتماعية الناتجة عن صراع مجتمعين الاستعمار الفرنسي و المجتمع الجزائري, و خلال هذه العملية (عملية الصراع) ظهرت الممارسة للفعل الجمعوي، و قد جعل من الجمعيات وسيلة لفعل اجتماعي محدد من طرف العناصر التي تسعي لتوجيه أو تسيير المجتمع نحو مسار معين لتحقيق الغاية المسطرة, وهذا النظام الفكري يشكل الوعي لفئة أو طبقة اجتماعية أي يمكن لها أن تشكل نوع من القناة التي توجه المجتمع من خلال توضيح و تفسير الواقع الاجتماعي و القوى و الجماعات الأساسية له.

ان هذا الانفتاح لم يأت في سياق طبيعي يؤشر على بداية إيمان الدولة في قدرة الجمعيات على المساهمة في تدبير الشأن العام، بل جاء في سياق العجز أولا في التصدي للمشاكل التي بدأ يعرفها المجتمع الجزائري بصفة عامة و المجتمع المحلي السوفي بصفة خاصة منذ منتصف الثمانينات، والتي شكلت ثمرة مباشرة لنتائج التقويمات الهيكلية بعد سنوات الثمانينات [8].

و هذه القراءة و التنبؤ لا يستطيع الانسان العادي ان يتفطن لها، بل المثقف السوفي هو الذي كون هذه القراءة المستقبلية لمجتمعه، و من هنا بات من الضروري إشراك الجمعيات كمؤسسات غير حكومية، و هذا الانفتاح ظهر بعد بروز اتجاه لدى الدول الغربية والمنظمات غير الحكومية العالمية، يفضل التعامل مع المؤسسات المجتمع المدني المستقلة على التعامل مع المؤسسات والأجهزة الرسمية لمحدودية فعالية هذه الأخيرة، ولاعتقاد من قبل

8- في هذه المرحلة بدأت تظهر تغييرات أيديولوجية تمثلت في القيام بإدخال إصلاحات اقتصادية كالتخلي عن المركزية في التسيير، وانسحبت الدولة تدريجيا من بعض الميادين ومن الاستثمار، خاصة بعد الأزمة الاقتصادية أواسط الثمانينات، كما انفتحت السلطة نوعا ما على الجمعيات والعمل التطوعي، و سمحت لها بالقيام ببعض الأعباء، وذلك بعد تبني الميثاق الوطني 1987الذي شجع 87 /07/ بتاريخ / 21لعام 1986 ثم صدور القانون 15 المواطنين على تأسيس جمعيات أهلية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والرياضية و المهنية.

المنظمات والدول الغربية مفاده أن أجهزة الدولة في المجتمع الجزائري والعالم الثالث لا تمثل تمثيلا أمينا مصالح وتطلعات ومشاكل المجتمع المدني، ومن ثم فوصول هذه الجهات إلى أهدافها وهي ليس كلها بريئة يمر بالضرورة على قنوات مؤسسات المجتمع المدني.

لقد عرف المثقف السوفي جيدا كيف يبني و يمارس الفعل الجمعوي، و تيقن أن إتباع قوانين المجتمع والانتماء للوطن، هي الميزات الأولى التي يجب أن يتصف بها و يجب أن يكون هو نفسه أول من يحترم القوانين والنظم وخاصة إذا كانت هذه القوانين تحترم الحريات وتتصف بالعدالة، كما سعى الى احترام عادات وتقاليد المجتمع، وإلى جانب هذا فإن الانتماء للوطن والولاء له عامل مهم كذلك بسعيه والتزامه بالدفاع عن القضايا التي تهم المصلحة العامة والابتعاد عن خدمة المصالح الفئوية الضيقة.

الفعل الجمعوي و سوسيولوجيا الترفيه: الترفيه ذلك الوقت الذي يستطيع فيه الفرد أن يحقق إشباعا لأغراضه وانجازا لأهدافه ولقد ترتب هذا الوقت نتيجة التطورات الاجتماعية والاقتصادية، بحيث أصبح يعبر عن قيمة اجتماعية جديدة يقرها المجتمع، يترجمها الفرد إلى طرائق وأساليب يشبع من خلالها أغراضه [9]، ما نريد الاشارة اليه في هذا العنصر هو أن الفعل الجمعوي بوادي سوف مرتبط بقضية الوقت الحر، أي الوقت الخالي من العمل الرسمي، و الوقت الحر يتضمن الفراغ، وكذلك كافة الأنشطة الأخرى التي نمارسها خارج نطاق العمل ويكون مضمون الوقت كافة الأنشطة الخاصة بإشباع الحاجات الشخصية، والبيولوجية، وحتى الفيزيولوجية، كالنوم، الأكل، والعناية بالصحة والمظهر وغيرها وبالتالي تصبح هذه الحاجات واجبات إذن يصبح الوقت هنا غير حر فكل فرد بحاجة للأكل وللنوم وغيرها، فلا تصبح هذه الأوقات مقياس لوقت الترفيه، وهكذا

9- Joffre Dumazdier: Sociologie de loisir-critique et contre critique de la civilisation du loisir édition du seuil, Paris, 1974,93.

يتحرر فيه الفرد أولا من جميع الأعمال التي يقوم بأدائها في مكان معين ونحصل على مقابل معين، كذلك أن يتحرر من جميع الأوقات الخاصة بالحاجات البيولوجية و الفيزيولوجية، كما يجب التحرر من جميع الالتزامات التي تفرضها النظم الاجتماعية الأخرى كالأسرة وغيرها.

تظهر العلاقة بين الترفيه و الفعل الجمعوي في وادي سوف من خلال صلة الجمعيات بأنشطة الترفيه وحدود تدخلها في توجيه هذه الأنشطة، أو تمويلها، أو تنظيمها أو إنتاجها والواقع أن دور الجمعيات، فهي تهيئة برامج ترفيهية تختلف من مجتمع إلى آخر، وينعكس على الجمعيات بوصفها مؤسسة تهدف إلى تحقيق التكامل في المجتمع ككل، ودعم القيم المشتركة بين أفراد المجتمع.

ولكي نعرف بدقة أسباب تدخل الجمعيات في توجيه نشاطات الترفيه وإتاحة الفرص المتنوعة لاستغلال الأنشطة الترفيهية، يجب علينا أن نعرف مدى تحقيق هذه الأنشطة لتنمية الشخصية الاستمتاع، والتكامل الاجتماعي، وبالتالي تطور النظام الاجتماعي العام، وعلينا أن نعرف كذلك على ما يمكن أن نفقده، لو لم تكن الجمعيات مهتمة بالأنشطة الترفيهية لدى أفراد المجتمع، إن من أهم الإسهامات التي يمكن أن توفرها الجمعيات، هي المتنزهات الشائعة في المناطق الحضرية مثلا وصيانتها وتطويرها، وتستطيع الجمعيات كذلك أن تتطلع على دور الوعي الثقافي وتنميته باستغلال الأنشطة الترفيهية، وذلك من خلال البرامج الإعلامية المختلفة، وكذلك من خلال البرامج التعليمية الرسمية، والاعتماد ببعض أشكال الفن كالشعر، التراث الشعبي، وبالتالي الجمعية هي التي تتولى المحافظة على التراث الشعبي الذي يعد حضارة المجتمع.

وعموما الظاهرة التي يجب الإشارة إليها هنا تزايد دور الجمعيات في توجيه نشاطات الترفيه وتوفير فرص الاستمتاع بهذه الأنشطة، لكن هناك بعض الانتقادات التي توجه إلى هذا الدور وأبرزها انتقادات دي مازدييه -J)

(Dumazdier، والذي يذكر ثلاث انتقادات وهي حقائق أساسية "..المجتمع غالبا لا يستطيع أن يتعرف على رغبات أفراد المجتمع لما يريدون فعله في أنشطتهم الترفيهية...والمجتمع حينما يقوم بتوجيه نشاطات لا توفر هذه الخدمات على نحو ملائم...". [10]

وهو ما دفع دي مازدييه إلى دراسة مشكل الترفيه في فرنسا وقد أقر بأنه "...قد يؤدي إلى حدوث فجوة ثقافية في المجتمع...". [11] فينبغي تفحص سلوكات الناس حول الترفيه والترويح.

الفعل الجمعوي و النظام التربوي: هناك عملية تأثير وتأثر بين النظام التربوي و الفعل الجمعوي، حيث لا ننظر إلى العملية التربوية أنها شيء مقصور على المدارس فقط، بل أنها تمتد خلال كل مراحل الحياة لأن جوهرها يتمثل في أن تجعل من النشاط التعليمي خبرة ممتعة في حد ذاتها ومن ثمة يصبح النظام التربوي مرتبط بالجمعيات كذلك.

فمن خلال ملاحظتنا في الندوة الفكرية السادسة عشر (16) للشيخ العدواني بالزقم مثلا: أن ما يتعلمه الطفل من خلال المحاضرات و المناقشات العلمية يكون بمثابة كسب يأتي ضمن البرامج المعدة من الجمعيات، و لا نغالي اذا قلنا أن الأطفال يتعلمون من مواد أضعاف ما يتعلمونه من المواد ذات الصفة التعليمية المباشرة الواضحة فنقول: عدم فصل البرامج إلى تثقيفية وترفيهية وتعليمية، لأنها جمعا ذات مهمة تعليمية....استخدام جميع مقومات نجاح البرامج لمعالجة الموضوعات التثقيفية والتعليمية". [12]

ومن جانب آخر يرى علماء التربية أن النشاطات خارج المؤسسات التعليمية تؤثر في العملية التربوية بأكملها فكثير من المربين يعتقدون أن التعليم

---

[10] - J-Dumazdier, Op Cit, p91.

[11] - J-Dumazdier: Loisir et culture, le loisir et la ville, edition du seuil, Paris, France , 1966, p21.

[12] – د.هيملوايت وآخرون: التلفزيون والأطفال، ترجمة، أحمد عبد المنعم، القاهرة، دون سنة نشر، ص ص 67، 98.

كله ينبغي أن يكون فيه نوع من المتعة و المرح، وهي خصائص نجدها في مؤسسات المجتمع المدني، ومن أبرز الاتجاهات التربوية في هذا الصدد ذلك الاتجاه الذي يؤكد أن مهمة المدرسة هي تحفيز القوى البدنية والعقلية للتلاميذ وهذا ما هو معمول به في جميع المؤسسات التربوية في العالم، ولا تخلو قائمة الأهداف التربوية في أي مجتمع من المجتمعات من هدف يشتمل على الترفيه، و هذه العملية نجدها فقط في مؤسسات المجتمع المدني في مجتمعنا.

الارث الجمعوي بوادي سوف: قد يتساءل الكثير من الباحثين ما سبب استمرار و ممارسة الفعل الجمعوي بوادي سوف عقود من الزمن، و لكن ذلك كان بكل بساطة ارث ثقافي ورثه الآباء عن الأجداد و نقل الى الأبناء، فهو اذن (الارث الجمعوي) مجرد النقل، فهو الشيء الذي ينقل من جيل إلى جيل الذي يليه، أو من الماضي إلى الحاضر [13]، فلا تذكر كيف تكون عملية النقل، سواء بزيادة شيء، أو الإنقاص فيه، وجميع ملابسات النقل و مصاحباتها، وكذلك على نوعية الشيء المنقول أو المتوارث المهم أن يكون تكوينيا ثقافيا، هذا من جهة و من أخرى هناك عنصر الشهود، أو الشاهد ليقر على ما إذا كان الارث الجمعوي حقيقيا أم لا، أو نكتفي بتقبل الارث الجمعوي دون الحاجة إلى إثبات صدقة، و نستطيع تفسير ذلك بتقديم مثال فعندما نقول جمعية العمودي [14] فذلك امتداد ثقافي متوارث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهذا الارث الثقافي لا يحتاج الى شهود مدام موجود مند عقود من الزمن، اذن فلكل مجتمع تراث يحفظ هويته من الضياع، فمجتمع بدون تراث لا قيمة له، فهويته يستمدها من الجذور الموغلة والمتأصلة في الماضي لتمنحها السيرورة، وديمومة الدوام، و من بين أهم التراث

[13]- إدوار شيلر: التراث، تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية القاهرة، 2004، ص38.

[14]- العمودي نسبة إلى الأمين العمودي و أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كان المترجم الخاص بعبد الحميد ابن باديس مؤسس الجمعية.

الثقافي الذي يتمتع به المجتمع السوفي الارث الجمعوي، فهو ارث ورثه المثقفون السوفيون عن الآباء و نقلوه الى الأبناء بكل امانة بدورهم (الأبناء أو الشباب السوفي) يحافظون عليه.

مميزات الارث الجمعوي بوادي سوف: هناك الكثير من الخصائص و المميزات التي يتميز بها الارث أو الميراث الجمعوي في وادي سوف كالاستمرارية والتي تعني الانتقال والنقل بين الأجيال وغيرها من الخصائص الأخرى وسوف نحاول أن نتعرض للبعض منها.

- **الاستمرار أو الاستمرارية:** ما يمكن تفسيره هنا في هذه الخاصية من خصائص الارث الجمعوي بوادي سوف هو ان الارث الجمعوي، ليس مفهوما ساكنا ولكنه حركي نابع من الاستمرارية، فهذا المفهوم ليس مفهوما ساكنا static ولكنه مفهوم حركي dinamic نابع من استمرارية الجمعية وديمومتها وحلقاتها المتصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل ". [15]

وهناك من يتساءل عن المدى الزمني الذي يتعين أن تستغرقه عملية تناقل الارث الجمعوي وتلقيه، في الحقيقة لا يمكن تقديم إجابة لهذا السؤال وان كان من الواضح أن المعتقد الذي يتم نبذه والتخلي عنه بعد تقديمه مباشرة، أو الذي لا يجد من المتلقين من تقبله بعد اختراعه أو اكتشافه وتقديمه وتجسيده مثل هذا المعتقد، أو هذه النظرة لا يمكن أن يعد ارثا كذلك بالنسبة للمعتقد أو الممارسة التي تروج لا يمكن أن تعد ارثا على الرغم من انه يحوي في جوهره نفس أنماط الانتقال من صاحبه إلى المتلقي أي انه ينطوي على جوهر أو لب التقليدية، و من هنا يتعين أن يستمر العنصر الاعتقادي أو السلوكي ثلاثة أجيال على الأقل أيا كان طولها أو قصرها... ". [16]

---

[15]- عبد الرحيم تمام ابوكريشة: التراث و العولمة، المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات،1999ص 39.

[16]- ادوارد شيلر:سبق ذكره.، ص 43 .

ويتم التعبير عن استمرار أنواع الارث الجمعوي في وادي سوف في ضوء عدد الأجيال التي يعيشها وان كان ذلك مقياسا أو معيارا يفتقر إلى الدقة، لان الأجيال نفسها متفاوتة في المدى الزمني الذي تستغرقه كما أن الحدود بين الجيل والآخر حدود غامضة وغائمة بعيدة عن التحديد.

وعندما نتحدث عن الإرث الجمعوي في وادي سوف، فنحن نتحدث عن شيء له نماذجه الأصلية وله من يقومون عليه ويحرسونه لاستمراريته ونقله للأجيال القادمة، الارث الجمعوي في وادي سوف هو الذي يجري توارثه ومازال يجري تلقينه وتناقله، انه شيء تم إيداعه من قبل سواء كان هذا الشيء معنوي أو مادي، وكان يؤدى أو يعتقد فيه في الماضي، أو يعتقد انه كان موجودا وممارسا ومعتقدا فيه في الماضي، ولكن هذا لا يعني أن الأفراد الذين يقدم لهم يقبلونه يفعلون ذلك بسبب وجوده في الماضي فالإرث الجمعوي يمكن أن يكون أشيئا لها ارتباط متوهج بنوعية تصور الناس للماضي.

- **المحافظة و الالتزام بالقوانين:** إن أهمية القوانين في أي مجتمع تكمن في كونها حاجة ضرورية من أجل تنظيم الاجتماع البشري وتحديد العلاقات بين أعضائه من جهة وبينهم وبين الدولة من جهة أخرى، والقوانين تعبير أو انعكاس تجريدي لواقع حياة الناس، وهي متغيرة بتغير ذلك الواقع، تراعي حاجياتهم المتطورة سواء الأساسية منها أو الثانوية، وأفضل القوانين ما اتفق عليها المواطنون مباشرة أو عن طريق ممثليهم لأن طاعتها واحترامها هو التزام بما سطروه وقرروه بأنفسهم، و وضعية الجمعيات في وادي سوف كفضاء متمايز عن الدولة لا تعطيه الحق في تجاوز الأطر والحدود القانونية الوطنية وأهمها هو قانون الجمعيات، الذي ينظم شؤون الحركة الجمعوية، فالقوانين هي من عوامل الاستقرار الاجتماعي والجمعيات لا تستطيع العيش والتفاعل في ظل اللاقانون أو الفراغ القانوني أو غياب الدولة، ولكنها تأسست على قاعدة التعاقد بواسطة ترسيم قوانين وتنظيمات تضمن التعايش والتفاهم والتكامل، أما إذا سادت القوانين

المجحفة فإن الجمعيات هي الإطار الأنسب للنضال بتأطير احتجاجات المواطنين ورفضهم لها، وسعيهم لتغييرها أو تعديلها بالطر السلمية.

- **الانتماء للوطن والولاء له:** يعني عدم الخروج أثناء الدفاع عن القضايا الجزئية والفئوية عن الروح الوطنية، وأن لا يكون تعارض بينها وبين المصلحة العامة للمجتمع أو أن لا يشكل خطرا على الوطن، فالانتماء الوطني يجعل الجمعيات تسمو على المصالح الضيقة القبلية و الجهوية والطائفية، والولاء للوطن و لقيم المواطنة أولا تحقيقا للثقافة المدنية، لان الإنسان له انتماءات عديدة بدءا بالأسرة ثم القبيلة إلى المهنة والفكر الإيديولوجي، لكن انتماؤه للجمعية يجعله مواطنا يشعر بالانتماء للوطن بالدرجة الأولى قبل الانتماءات الأخرى، وقد اعتبر مونتسكيو حب الوطن من الفضائل السياسية، وجاء في كتابه روح القوانين أن " الفرد لا يمكن أن يكون مواطنا من وطن أو أن ينال الغنى والثروة من أيدي هادميه، ومن دون قانون

يطيعه الجميع ويدافعون عنه، ومن دون مساواة بين المواطنين ليس هناك وطن وليس هناك مواطنون، بل أرض وكائنات طبيعية تتنازع عليها [17].

و من هنا تظهر وطنية الجمعيات في وادي سوف أكثر خلال النزاعات الخارجية؛ حيث تعمل جمعيات المجتمع المحلي السوفي على تعزيز التماسك الاجتماعي، ورفع الروح الوطنية من خلال التجنيد، و رغم

أهمية قوة الانتماء والولاء للوطن فإن ذلك لا ينقص من دور الانتماء الإنساني والعالمي للمجتمع المدني حيث يشترك البشر في كونهم معنيون بحماية كوكبهم بفضل الشعور بأن الحضارة الإنسانية ومصيرها أمر مشترك بينهم.

- **عدم استهداف الربح أو الوصول للسلطة:** من الخصائص البنيوية كذلك لجمعيات وادي سوف هي أنها غير هادفة للربح؛ فهي ليست

[17]- مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، دار المعارف بمصر، بيروت، القاهرة المجلد 1 ، ج1، 1953، ص06 .

شركات تجارية أو مقاولات ترمي لجني فوائد مادية من وراء مشاريعها وأنشطتها، ولكنها تدافع عن القضايا الإنسانية والاجتماعية وتساعد المحتاجين بدون مقابل مادي يذكر وحتى إذا حققت مداخل من بعض الأنشطة كإقامة المعارض والحفلات أو بيع منتجاتها، فلا يجوز اقتسام ما تجنيه بين أعضائها، بل تسخره لمزيد من الخدمات الاجتماعية.

لكن عدم السعي للربح لا يعني تخلي الجمعيات وادي سوف عن دورها التنموي فقد عمدت جمعيات وادي سوف على خلق الثروات وفرص العمل من أجل تحسين أوضاع وظروف حياة الناس في المجتمع المحلي واكتفائها بالدور الخيري والتضامني، لهذا فهي تقيم بعض المشروعات الإنمائية الإنتاجية الصغيرة لفائدة البطالين وذوي الاحتياجات الخاصة لضمان استقلاليتهم من الناحية الاقتصادية، كما تنفذ برامج تأهيل وتدريب مهني للشباب في شتى المجالات المطلوبة في سوق العمل لرفع مهاراتهم وقدراتهم المهنية.

خاتمــة-

إن الهدف من هذه الدراسة العلمية هو فهم وتفسير واقع المجتمع المحلي السوفي، و قراءته قراءة علمية تتلاءم وخصائص ذلك الواقع. تعد الجمعيات و العمل الجمعوي المفاهيم التي فرضت نفسها في وادي سوف عامة و في قرية الزقم خاصة، و من هنا وجب علينا مناقشتها ونقدها واستخدامها بكثير من الموضوعية قصد توطين ما يمكن أن يتطابق مع الخصوصيات المحلية، إن دارسة مثل هذه المواضيع الاجتماعية في المجتمع الجزائري عامة و المجتمع المحلي وادي سوف خاصة، يدفعنا لا محالة الى ابراز التباين الواضح في خصائص و مميزات المجتمعات المحلية والقيم والأسس التي بني عليها.

ان هذه الدراسة دفعتنا الى التعرف على دور النشاط المحلي في تنمية القرية (الزقم) من خلال منظمات ومؤسسات هذا النشاط مع التعرض بشيء من التفسير لهذه المؤسسات (الجمعية) وتطورها بالقرية (الزقم)

وقد أرجع أهمية الدراسة إلى أهمية مساهمة أفراد المجتمع المحلي بنشاطهم الطوعي في التنمية، كما دفعتنا هذه الدراسة الى التعرف على اتجاهات أفراد المجتمع نحو البرامج الهادفة إلى تحقيق التنمية الشاملة المتوازنة في المجتمع المحلي و مناقشة الأسباب الداعية إلى الاهتمام بتنمية القرية وأهمية ذلك وطنيا.

و رغم ما تقوم به الدولة بنشاطات الخدمة الاجتماعية لا يدعو إلى تراجع الجمعيات، لأنه مهما توافرت موارد الدولة فإنها لا تستطيع لوحدها أن تحقق مصالح ومطالب أفراد المجتمع المحلي بوادي سوف جميعا، و سمحت الدراسة لنا باكتشاف ارتفاع نسبة وعي سكان منطقة الزقم بظروف المجتمع وبأهمية النشاط الجمعوي الذي يساعد على فرص المشاركة الشعبية في عملية التنمية ويخلق الشعور بالمسؤولية لدى الأفراد.

و من اهم الملاحظات فيما يخص الفعل الجمعوي بوادي سوف و خاصة بقرية الزقم سجلنا، التنسيق والتكامل بين كل الأجهزة الحكومية والجمعيات الفاعلة، و هذا لا يتم إلا إذا كانت العلاقة بينهما حسنة، و هذا في الحقيقة ما هو الا إدراك آليات العلاقة المركبة بين الجمعيات والدولة والمجتمع المستهدف من نشاطاتها، وأنه كلما كان انخراط المواطنين أو أفراد المجتمع المحلي في جهود التنمية من خلال الجمعيات كبيرا، وكان وعيهم بأهميتها ودورها متزايدا كلما ارتفعت فعاليتها و نجعتها إلى جانب أهمية التكامل والتنسيق بين الحركة الجمعوية والجهود الحكومية في إقناع السكان بالمساهمة في التنمية بمختلف انماطها.

قائمة المراجع:

- **مراجع باللغة العربية:**

1- يسري مصطفى، و اخرون: الحركات الاجتماعية، المفهوم والواقع - المجتمع المدني وسياسات الإفقار في العالم العربي، مركز البحوث العربية وميربيت، القاهرة، ط1، 2002.

2- رونيه غاليسو: الحركات الجمعوية والحركة الاجتماعية، علاقة الدولة بالمجتمع في تاريخ المغرب العربي مجلة إنسانيات وهران ، ماي / أوت 1999 ، العدد 08 .

3- أماني قنديل وسارة بن نفيسة: الجمعيات الأهلية في مصر، مركز الدراسات السياسية و الإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة،1994.

4- د.هيملوايت وآخرون: التلفزيون والأطفال، ترجمة، أحمد عبد المنعم، القاهرة، دون سنة نشر.

5- إدوار شيلر: التراث، تأصيل و تحليل من منظور علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري مطبوعات مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية القاهرة، 2004.

6- عبد الرحيم تمام ابوكريشة: التراث و العولمة، المحروسة للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات،1999.

7- مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة: عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، دار المعارف بمصر، بيروت، القاهرة المجلد 1 ، ج1، 1953.

- مراجع باللغة الأجنبية-

8- Joffre Dumazdier: Sociologie de loisir-critique et contre critique de la civilisation du loisir édition du seuil, Paris, 1974.

9- J-Dumazdier: Loisir et culture, le loisir et la ville, edition du seuil, Paris, France , 1966.